من هم أخطر وأقذر المرتزقة؟

د. يحيى مولى الدويلة :

من المعلوم أن أهم أهداف دول التحالف يمكن تلخيص أبرزها بإسقاط انقلاب الحوثيين ومحاربة التنظيمات الإرهابية في اليمن، ولتحقيق هذه الأهداف؛ اعتمدت دول التحالف استراتيجية عسكرية تتكون من ثلاث محاور؛ الأول: بناء جيش بديل عن الجيش الوطني المتبقي وقامت السعودية بتمويل تجهيزه وقد صرفت المليارات لهذا الغرض، والثاني: تأسيس الأحزمة الأمنية لتتولى عملية تطهير المحافظات الجنوبية من الحوثيين والتنظيمات الإرهابية وقامت الإمارات بتمويل تجهيزها، أما الثالث فقد كان استخدام مليشيات مقاومة وقامت قطر بتمويل بعضها .

واستمرت دول التحالف في دعم هذه المحاور الثلاثة خلال فترة الحرب وفي مرأى ومسمع العالم وتحديداً الحكومة الشرعية بمكوناتها السياسية المختلفة. وكانت حصيلة الاستثمار في هذا المجال مفاجئًا، ففي حين أصبحت الأحزمة الأمنية أكثر كفاءة وتنظيماً وانضباطاً وتمكنت من تحرير معظم المحافظات الجنوبية بل وتحركت لتحرير الساحل الغربي، بينما اتخذ ما يسمى بالجيش الوطني منحىً آخراً حيث تم تأسيس جيش إخواني بعقيدة إخوانية بحيث يكون أداة أو مظلة حقيقية للإرهاب وبالرغم من إنه يتبع وزارة الدفاع مباشرة غير أنه كان يحمل أجنده حزبية ضيقة ولم يحمل عقيدة وطنية على الإطلاق بل إنه تخلى عن أهدافه الحقيقية. أما مليشيات المقاومة والمدعوم بعضها من قطر فقد كانت تابعة لقادتها ولكنها أيضا كانت تنتمي لقادة من حزب الإصلاح مثل الشيخ حمود سعيد الإخواني قائد مقاومة تعز الذي فرّ من منتصف المعركة إلى تركيا وفتح مطعماً هناك وترك تعز تواجه مصيرا مجهولاً وساحة صراع للمليشيات الإرهابية أخّرت تحريرها.

ومع ذلك بعد الأحداث الأمنية الأخيرة كان يحلو للنخب الإعلامية الشمالية أن تطلق على الأحزمة الأمنية بالمرتزقة والمليشيات المتمردة التابعة للإمارات وكأن المكونات العسكرية تمول من خزينة الدولة وليس من دولة بعينها، مما يعني أن هناك خللاً في التفكير والتوصيف الذي لا يخلو من المغالطة وتزييف الحقائق لأهداف سياسية وأجندات حزبية ضيقة .

وكان من الطبيعي أن تكون هناك حوافز للانضمام إلى الأحزمة الأمنية وانخراط شبابنا لها ربما لأسباب مادية وهذا من حقهم، لكن إذا ما رجعنا لفترة الثلاثين عام الماضية من عمر الوحدة نجد أن شبابنا الجنوبيين تعرضوا للتهميش والإقصاء وأصبحوا عمالة مقنعة، ولذلك يصبح المبرر في الالتحاق لهذه الأحزمة قويا وأضاف إلى ذلك رغبتهم في الدفاع عن أرضهم التي اقتصبت واحْتلت من الشمال والذي كان دافعاً قويا، ولذلك قدموا الغالي والرخيص بل أرواحهم فداءاً لهذا الوطن، لذلك أثمرت جهودهم واستطاعوا أن يحرروا أرضهم في فترة قصيرة فتمكنوا من طرد الحوثيين من الجنوب وهو أهم أهداف دول التحالف ولا نقول الشرعية (لأن في ذلك علامة استفهام كبيرة). لكن عندما أرادت هذه الأحزمة الأمنية تنظيف الجنوب من التنظيمات الإرهابية جن جنون الشرعية المختطفة من الإصلاح وشعرت بالخطر رغم أنها كانت تتوقع هذا اليوم ووضعت الخطط الحمقاء لوقف تمدد الأحزمة الأمنية والنخب الشبوانية والحضرمية لتطهير الجنوب من هذه التنظيمات. أليس كل هذا مبرراً كافياً لجعلهم فوق رؤوسنا ونمنحهم النياشين كأبطال أنجزوا ما لم يفعله الجبناء، أم هي غيرة العاجزين عندما يروا الناجحين وهم يتقدمون في ساحات الشرف والبطولة.

لكن السؤال الأهم هو: من هم المرتزقة الحقيقيين ومن هم الأشد خطراً وقذارة بل الأكثر خطراً على الوطن، أليس هم الذين انحرفت أهدافهم عن المشروع الكبير وهو تحرير الوطن من الانقلابيين الحوثيين وتطهير البلاد من التنظيمات الإرهابية. وهل كل من قبض دعما ماديا من التحالف يمكن اعتبارهم مرتزقة فالقوات السودانية التي لا يخفي على أحد أنها جاءت نتيجة ظروف معيشية صعبة كانت تعيشها السودان وهي قبضت أموالا (طبعا هذه الأموال تدفعها السعودية) مقابل هذه المشاركة. هل نسميهم مرتزقة أم أنها تشارك في سياق أهداف التحالف وهي تحرير اليمن من سيطرة الحوثيين .

وعليه يا ترى ماذا نطلق على الذين ينهبون الدعم العسكري

والذي يصل إلى مليارات الدولارات ويستثمرونها في كيانات اقتصادية ضخمة وتهرب هذه الأموال إلى الخارج بطرق قانونية عبر مؤسسات الحكومة الشرعية المختطفة من الإخوان بدلاً من صرفها في بناء البنية التحتية للقوات المسلحة وحوافز للعسكريين الذين يتم تحويلهم والتعامل معهم كمليشيات مرتزقة، تهدر حقوقهم وتسرق مستحقاتهم ويعطى لهم الفتات من الصرفة والقوت اليومي دون أن يشمل ذلك أي تأمينات على حياتهم؛ بل توجه هذه الأموال والإمكانيات للتنظيمات الإرهابية إن أولئك هم الراعي الحقيقي للمرتزقة.

وإذا عدنا إلى الخلف ماذا نقول عن تلك القائمة الطويلة من زعماء قبائل ووجاهات وقادة عسكريين وشخصيات سياسية كبيرة وكبار الموظفين في الدولة والتي تكشف استلامها مبالغ شهرية من دولة شقيقة. ماذا نسمي هؤلاء؟ أليس هم مرتزقة بل خونة خانوا الدولة والوطن والجمهورية. وما نقول عن أولئك الذين تآمروا على الجمهورية وقبضوا الثمن وفروا ببراقع نسائهم وسهلوا على الملكيين إسقاط النظام الجمهوري والثورة والوطن وأيضا الوحدة التي لم يعد لها وجود. أليس هم مرتزقة بل خونة. وماذا نقول على الذين يقبضون أموالاً طائلة وهم لا يقومون بشيء سوى التطفل وسرقة انتصارات المقاومة الجنوبية في الساحل الغربي وينسبونها لأنفسهم وما يسمى الجيش الوطني. وماذا نقول أيضاً على الذين يخططون لتجنيد 20 ألف من المرتزقة وبدعم قطري (وهي دولة مطرودة من التحالف) بهدف السيطرة على المناطق الساحلية من المهرة وحتى باب المندب. وهذه المخططات إخوانية لا علاقة لها باستعادة الجمهورية والدولة والوطن ولا حتى الوحدة. ألم يكن كل ذلك مجرد التعامل مع الجنوبيين كمرتزقة لخوض حرب بالوكالة عن قوى الظلام (الإخوان) يكون وقودها الجنوبيين، لا لشيء إلا لتسليم أرض الجنوب لهؤلاء العصابات يعبثون بها. إن كل هؤلاء ليسوا مرتزقة فحسب بل هم خونة ولصوص باعوا كل شيء يمثل قيمة في سوق الشرف والكرامة والعزة والإنسانية .

كل ذلك قد يكون هيناً أمام مرتزقة الإعلام؛ وهي نخبة من المثقفين والمفكرين والإعلامين والذين يقبضون ثمناً باهضاً مقابل تزييف الحقائق ونشر الأكاذيب، فنجد الواحد منهم لا يساوي تعريفة (عملة مصرية ضئيلة)، فإذا به يسكن تركيا أو برلين أو فينا أو غيرها من الدول الأوروبية في فيلا أو شقة تمليك ويمنح لهم راتباً خيالياً مقابل طلة بسيطة في القنوات الفضائية للتصريح بأكاذيب على الهواء حسبما يطلب منها: أليس هولاء هم أيضاً مرتزقة بل أخطر وأقذر مرتزقة باعوا ضمائرهم وشرف المهنة وباعوا بذلك أوطانهم مقابل حفنة من المال؟.

إن وظيفة مرتزقة الإعلام تقديم صورة مغايرة للواقع وبمساعدة امبراطورية الإعلام (الجزيرة) والتي تعمل بفضلهم على غسيل أدمغة كثير من النخب المثقفة قبل العامة. وترسم لهم صورة جزئية مبتورة غير مكتملة سطحية الرؤية، بعيدة عن جوهر وأبعاد القضية الأساسية، والأخطر من ذلك هو قلب الصورة فتجعل الشريف خائناً والأبيض أسودًا في حين أن هولاء يقبضون ثمن خيانتهم وارتزاقهم وهم في حقيقية الأمر أخطر وأقذر المرتزقة .

يعتمد مرتزقة الإعلام على خداع العقول والذي بات من السهل التلاعب بها، وقد عملت طيور الظلام منذ وقد مبكر في العبث بهذه العقول حينما بدأت للتأسيس للمعاهد الدينية (والتي رفضتها الوحدة ولكنها عادت من خلال وزراء الإخوان التي كانت تصر على تولي حقيبة التربية والتعليم) واستطاعت تدريب أجيالنا على السمع والطاعة وأنشأت قطيعا خاضعًا لفكر ديني مزيف، فهي وللأسف الشديد لديهم استعداد على تقبل هذه الأفكار والمعلومات التي تعرض عليهم، وأصبحت قناعاتهم موجهة ومن السهل تضليلهم بل تجييشهم وتعبئتهم و تثويرهم دون وعي . وتكمن الخطورة الكبيرة للمعلومات المزيفة التي يتلقونها أنها لا تخضع للفحص والنقد والبحث والتأكيد ويتقبلونها بغض النظر عن أصحابها أو مصدرها. الجريمة أنه حتى بعد اكتشاف أكاذيبهم فإن هذه الفئة لا تراجع نفسها أو تغير مواقفها أو يكون لها رد فعل إيجابي وتنتقل إلى الموقف الصحيح بل على العكس نجدها تصاب بالإحباط وخيبة الأمل على ظهور الحقيقة وتتمنى لو كانت كل هذه الأكاذيب حقائق .

إذن أصبح الأمر مكشوفاً فكل من لا ينسجم مع أهدافنا الخاصة فهو ليس منا بل إنهم مرتزقة وأعداء للوطن وخونة ومتمردين، أما إذا كنتم تتبعون عقيدتنا والمقصود هنا الولاء لحزب بعينه فأنتم عظماء وطنيون ووحدويون وما فيش زيكم. لكن والحمد لله أصبح الجنوبيون على وعي كامل بكل هذه الألاعيب الإعلامية وباتوا على دراية تامة بمن هم المرتزقة بل وأخطرهم ومستوعبين لأهدافهم ومخططاتهم .